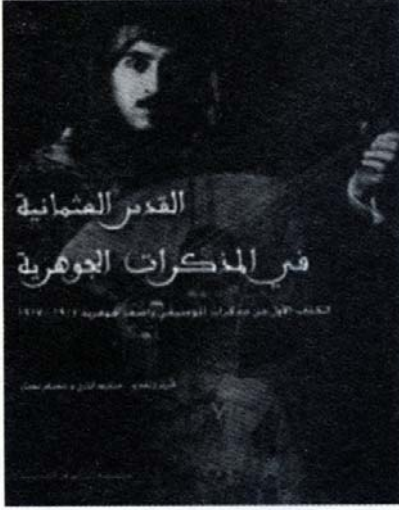


مجموعة صور واصف جوهريّة*



عصام نصار**

نشرت مؤسسة الدراسات المقدسية مؤخراً المجلد الأول من مذكرات الموسيقار المقدسي واصف جوهريّة. ويغطي هذا المجلد، الذي يحمل عنوان "القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة: الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهريّة، 1904-1917"، والذي حرره سليم تماري وعصام نصار، العقد الأخير من فترة الحكم العثماني لفلسطين، ويركز بصورة خاصة على

العامين أو الأعوام الثلاثة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وينتهي مع استسلام القدس للقوات البريطانية ودخول الجنرال أللنبي المدينة في 9 كانون الأول/ديسمبر 1917.

دوّن واصف جوهريّة، الموسيقار وعازف العود، يومياته خلال فترة امتدت ما بين سنة 1904 وسنة 1950، ومنح المخطوطة لأرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت في أوائل السبعينات، قبل فترة وجيزة من وفاته. وبالإضافة إلى المخطوطة، المؤلفة من ثلاثة مجلدات، منح جوهريّة المؤسسة أيضاً سبعة "ألبومات" صور، وسبعة دفاتر ملاحظات تتضمن شرحاً للصور. وتشكل "الألبومات" ودفاتر الملاحظات، المرتبة بعناية وفقاً للتسلسل الزمني لالتقاط الصور، ما يسميه جوهريّة تاريخ فلسطين المصور في أواخر العهد العثماني وفترة الانتداب اللاحقة له. وتضم هذه "الألبومات" 890 صورة التقطتها مجموعة متنوعة من أوائل المصورين الفلسطينيين والأوروبيين، وبينهم حتى مصورون يهود، واختارها جوهريّة نفسه واحدة فواحدة

(*) المصدر: Jerusalem Quarterly File, no. 18, June 2003, pp. 36-43.

(**) مدير مشارك، مؤسسة الدراسات المقدسية (القدس).

خلال فترة تمتد عدة عقود.



الجنرال اللنبي في قلعة القدس عند بوابة يافا بعد استسلام المدينة للقوات البريطانية.
المصدر: "القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة"، ص ٢٥٨.

وتتطابق "الألبومات" السبعة مع المذكرات من ناحية الموضوعات، والأشخاص، والأمكنة، والأحداث. وفي الواقع، يحيل جوهرية بين الحين والآخر قارئ المذكرات على صورة ما في "ألبوماته"، محدداً بدقة "الألبوم" الموجودة فيه ورقمه. ومع أن "الألبومات" تفتقر في أحيان كثيرة إلى معلومات حيوية، مثل اسم المصور وتاريخ التقاط الصورة، إلا إن جوهرية كان دقيقاً جداً في توثيق أسماء الأشخاص والأمكنة الظاهرة في الصور (بل كان أحياناً يضيف حكايات ونوادير عن أشخاص يظهرون في الصور). وهذا التوثيق الدقيق، المقترن بترتيب يراعي التسلسل الزمني والموضوعات، يجعل مجموعته المصورة هذه نوعاً من التاريخ السياسي والاجتماعي المرئي والمفعم بالحياة لفلسطين الحديثة في فترة حاسمة من تاريخها.

إن عملية جمع الصور، وخصوصاً غير الشخصية منها، وترتيبها في "ألبومات" كانت شائعة في القرن التاسع عشر. ويُعتقد أن هذا "التقليد"، الجديد إلى حد ما، كان ترسماً لخطى الملكة فكتوريا، وسرعان ما أصبح هواية منذ ستينات القرن التاسع عشر، في بريطانيا أولاً ثم في أميركا الشمالية.⁽¹⁾ ولم يكن هذا التقليد شائعاً في فلسطين، بين السكان المحليين، كما كان عليه الحال في أوروبا وقتئذ. لكن كثيرين من الزائرين الأوروبيين، أو القاطنين منهم في فلسطين (مثل زوجة القنصل البريطاني في القدس في خمسينات القرن التاسع عشر)، كانوا يجمعون الصور في "ألبومات". كما أن السلطان العثماني، الذي كانت فلسطين تابعة لحكمه آنذاك، كان معروفاً عنه أن لديه خطة طموحة لتصوير الإمبراطورية، وأنه أوفد لهذا الغرض مصورين إلى مختلف أنحاء الأراضي العثمانية الشاسعة. وفي أوائل القرن العشرين، كان عدد من المصورين والمؤسسات التجارية في القدس، مثل مطبعة الفرنسيكان، يبيع "ألبومات" صور للأرض المقدسة ذات غُلف مصنوعة من خشب الزيتون، كما كان هناك أحياناً أزهار فلسطينية مجففة تلصق على الغُلف من الداخل. إن دخول "الألبومات" إلى الحياة في فلسطين بالتدريج يعكس الدخول المتدرج للتصوير في المنطقة على وجه العموم. ومع حلول الثلاثينات من القرن العشرين بات شائعاً أن يهدى للزوار الرسميين "ألبومات" صور لأمكنة متعددة في فلسطين. وقد أهدى مفتي القدس "ألبوم" صور كهذه لأسقف

(1) أنظر: Nancy C. Micklewright, "Personal, Public, and Political (Re)Constructions: Photographs and Consumption" in Donald Quataert, *Consumption Studies in The History of the Ottoman Empire, 1550-1922, An Introduction* (New York: State University of New York Press, 2000), p. 271.

كانتربري عندما زار الأخير فلسطين خلال فترة الانتداب.

إن مذكرات جوهريّة المنشورة حديثاً تشتمل على جزء يسير من المجموعة المصورة التي حرص على جمعها والاعتناء بها على امتداد فترة طويلة من الزمن، إضافة إلى عدد آخر من الصور الفوتوغرافية لفلسطين في أواخر العهد العثماني جمعت من عدة مصادر. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>